أ‌- د/ إبراهيم أبراش
Ibrahem\_ibrach@hotmail.com

29-6-2005

ألحقنا يا شاويش
(عنوان هزلي لموضوع جاد )
اختلفت حماس وفتح حول نتائج الانتخابات البلدية ،حيث شككت فتح بهذه النتائج واتهمت حماس بالتزوير ،وتأزم الوضع وخرجت مظاهرات صاخبة ومسلحة من الطرفين تخللها عمليات إطلاق نار وعمليات إطلاق شعارات أكثر خطورة من إطلاق النار ،وفشل الطرفان في التفاهم على حل وفشلوا في جعل المرجعية القضائية الفلسطينية هي الحل ،واستنجدوا بالأخوة المصريين الذين هرعوا لإطفاء النيران .وقبل ذلك فشلت الفصائل في التفاهم على إستراتيجية عمل وطني فاستنجدوا بالمصريين الذين استضافوا الفصائل الفلسطينية لجلسات حوار مطولة ومتكررة ،أيضا فشلت الفصائل بالتفاهم على هدنة فتدخل المصريون لإقناعهم بالهدنة ... .

المصريون أخوة وجيران ،الجغرافيا والتاريخ يحتما علينا العمل المشترك ،فنحن لا نختار الجغرافيا ولا نختار التاريخ ،وبالتالي ليس من الخطأ أن يستعين الشقيق بشقيقه وقت الضيق ،إلا ان هذه الاستعانة بالشقيق تكون مقبولة لمواجهة طرف خارجي او عدو خارجي ،أما أن تتكرر عملية الاستنجاد بالمصريين في كل مشكلة داخلية تواجه الفلسطينيين فهذا يستوجب وقفة تأمل ومناقشة .

لا شك أن الخلافات بين القوى السياسية أمر طبيعة ،فالتعددية السياسية ظاهرة ديمقراطية وبالتالي تعدد البرامج واختلافها أمر طبيعي ،إلا أن المشكلة تكمن في فلسفة وطريقة حل الخلافات ،وفي هذا السياق نسجل الملاحظتين التاليتين على النهج الفلسطيني في حل الخلافات ونتائجه الخطيرة:
أولا : نحن نزعم بأننا نمر بمرحلة تحول ديمقراطي وندعي بأننا مارسنا العملية الانتخابية بنزاهة وبأسلوب حضاري حتى زعم البعض بان الديمقراطية الفلسطينية لا مثيل لها بالشرق الأوسط !فكيف نوفق بين هذا القول وبين التشكيك بنتائج الانتخابات وبقرارات القضاء الفلسطيني حول الانتخابات ! الاختلاف في الرأي في القضايا الوطنية وفي الأنظمة الديمقراطية يجب أن يحسم وطنيا ليس فقط لأن (أهل مكة أدرى بشعابها) بل لأن الديمقراطية تتوفر على آليات لحل النزاعات هذا بالإضافة إلى أن الاستعانة بأطراف خارجية لحل نزاعات داخلية يتناقض مع النهج الديمقراطي الذي ندعي بأننا نمارسه ،فنحن لسنا الصومال أو السودان ولا الكونجو أو ليبيريا.عدم قدرة القوى السياسية المشاركة بالعملية الديمقراطية على حل خلافاتها داخليا يشكك بمصداقية إيمانها بالديمقراطية ثقافة وسلوكا.

لقد سبق وان كتبنا حول التخوفات من أن تنشغل القوى السياسية بالصراع على السلطة على حساب الانشغال بالهم الوطني المشترك،وقلنا بان المراد من العملية الانتخابية ليس مجرد الوصول للسلطة بل توظيف الانتخابات كآلية من خلالها يمكن تشكيل حكومة وحدة وطنية تمثل كل القوى السياسية كل حسب وزنها كما تعلن عنه نتائج الانتخابات ،بمعنى إخراج النظام السياسي من أزمته وفشل نظام الحصص والكوتا القديم والعقيم بحل مشكلة تمثيل القوى السياسية في النظام السياسي .الانتخابات مجرد وسيلة للوصول لحكومة الوحدة الوطنية الممثلة لكل الشعب الفلسطيني ،وليس وسيلة لاستبدال هيمنة حزب بهيمنة حزب أخر. نريدها حكومة تحمل عبء المشروع الوطني التحرري وليس حكومة إعادة توزيع غنائم السلطة.

ثانيا: يجب التأكيد مرة أخرى بأننا لسنا ضد تمتين العلاقات الأخوية مع مصر وغيرها من البلدان العربية ولكن كثرة الاستنجاد بأطراف خارجية لحل قضايا وطنية قد يسئ للشعب والوطن ويرتب نتائج سياسية مستقبلية هي الآن محل نقاش وتخوف ونقصد بذلك الدور المستقبلي لمصر في قطاع غزة وخصوصا إذا استحضرنا هذا الدور تاريخيا. لقد بدأت (الوساطة) المصرية من طرف الرئيس حسني مبارك ثم مدير المخابرات عمر سليمان ثم الوكيل مصطفي البحيري وربما غدا إذا ما استمرت الخلافات سنصرخ ونقول (ألحقنا يا شاويش) وسيرسلون لنا شاويش ،بل قد يقيم الشاويش وعناصره عندنا فتصبح السفارة المصرية شبيه بالسفارة الأمريكية بالعراق.
لا أضع سيناريو خيالي أو أطعن بالعلاقات الأخوية بين فلسطين ومصر ولكن أستحضر مجمل التفكير الإسرائيلي والأمريكي ومخططاتهم التي ترفض الاعتراف بالسيادة الفلسطينية على غزة وترمي للفصل ما بين القطاع والضفة وتتحايل على موضوع الدولة الفلسطينية المستقلة وأستحضر خطة شارون التي لا تتحدث عن أي سيادة فلسطينية على قطاع غزة.